العرب
السبت 2021/10/30
السنة 44 العدد 12225

«المقلب الآخر من الزمن» رسالة فنية من دانتي إلى بيروت

نايلا رومانوس إيليا تنشد الخلاص للبنان الجريح عبر النحت والمعمار

عندما يجتمع فن النحت بالفن المعماري وفن التجهيز في عمل واحد، فأغلب الظن أنه سيشير إلى أمرين. الأول أنه عمل معاصر وينتمي إلى الفن المفاهيمي، أما الأمر الآخر الذي يشير إليه، فهو أنه عمل مخصص للعامة يكون في متناول الجميع خارج جدران أي صالة فنية مهما كانت كبيرة ومجهزة لاستضافته. و"المقلب الآخر من الزمن" لصاحبته الفنانة/ المهندسة المعمارية اللبنانية نايلا رومانوس إيليا يندرج ضمن هذا الفكر الجامع بين الفنون الثلاثة، النحت والمعمار والتجهيز.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت – "المقلب الآخر من الزمن" هو اسم عمل فنيّ هندسي للفنانة اللبنانية نايلا رومانوس إيليا احتل حيزا كبيرا في ساحة واسعة من ساحات مدينة بيروت، ليصبح مزارا لكل من اهتم بالفن ولكل من تعاطف مع الأفكار المطروحة من خلاله.

والعمل الذي أنجز في ظل غياب تام للدعم الرسمي لكافة الأعمال الفنية التي شهدتها بيروت، خاصة في الفترة الأخيرة من الزمن، اشتركت العديد من الجهات لأجل إنجازه وتقديمه لعامة الشعب في إحدى الساحات البيروتية. وضاعف غياب الجهة الرسمية من إضفاء مصداقية كبيرة للعمل.

وعبّرت نايلا رومانوس عن حرصها بتذكير الناس "بأن الفن العام يشكّل جزءا من التاريخ المشترك للأمة، ما يساهم في بلورة ثقافتها المتطوّرة في ظل الحفاظ على الذاكرة الجماعية. لكن قبل كل شيء، الغرض منه أن يستمتع به الجميع ويشعروا بأنه لهم".

أشكال مُتداخلة تسرد في انحدارها وارتفاعها سيرة السقوط في الجحيم، والانتقال إلى المطهر فالخلاص

دعوة للولوج إلى العقل الهندسي الفني وأبعاده التجريدية

اشتغال على الأبجدية الفينيقية ورمزيتها

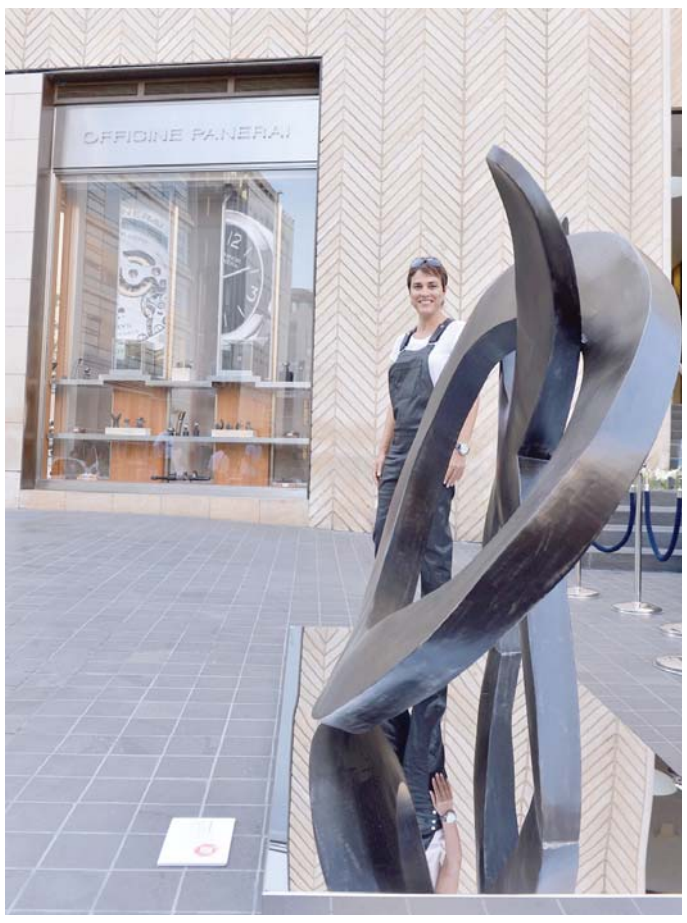

انسيابية كاملة ولا نهائية

على الرغم من أن هذا العمل جاء ضمن الاحتفال بمرور سبعمئة سنة على رحيل الشاعر والكاتب دانتي أليغييري (1265 – 1321)، أبو اللغة الإيطالية، صاحب "الكوميديا الإلهية"، فإنه بدا وكأنه، أي العمل الفني، اتّخذ هذه المناسبة ذريعة كي يستحضر من واقع الحال العالمي بشكل عام واللبناني بشكل خاص كل الصور الظلامية التي يمكن تخيّلها إلى جانب إمكانية الخلاص أو استحالته بالنسبة إلى كل اللبنانيين، لاسيما كل من يعيش منهم داخل البلد.

الماضي في الحاضر

أول ما يلفت النظر إلى هذا العمل، هو في البداية، "شجاعة" الفنانة/ المهندسة في تخيّله ومن ثم تحقيقها عملا فنيا من وحي "الكوميديا الإلهية" العمل الأدبي والعالمي العملاق.

أما الأمر اللافت الثاني فهو أنه كان دعوة للمُشاهد لأن يلج في العقل الهندسي/ العلمي/ الفني وآلية ترجمته للأفكار مهما بلغت من تجريديتها في عمل فني تألف من أشكال مُختزلة ومُتداخلة تسرد في استدارتها وتشابكها وانحدارها وارتفاعها سيرة السقوط في الجحيم، والانتقال إلى المطهر ومن ثم الخلاص.

وعلى الرغم من غياب أي شكل مربع (المشير تاريخيا إلى الحياة الأرضية) عن العمل الفني واقتصاره على حلقات معدنية مختلفة ومتداخلة (المشيرة إلى الروحانية والألوهية تاريخيا)، فإن مجسم "المقلب الآخر من الزمن" يحيلنا إلى لوحة "الرجل الفيتروفي" التي رسمها ليوناردو دافينشي وتمثل رجلين عاريين في وضع متراكب أحدهما داخل دائرة والآخر داخل مربع.

ففي حين جسّدت هذه اللوحة التقاء الفن بالعلم، والأرضي بالسماوي بحركة انسيابية كاملة ولا نهائية، فعمل المهندسة الفنانة رومانوس يمثل الصلة الوطيدة ما بين الجحيم والمطهر والخلاص عبر حلقات دائرية وشبه دائرية متداخلة، حبذا لو كانت متحركة فعلا، ولم تكتف بتجميد فعل تحوّل وانقلاب مواضع الجحيم والمطهر والخلاص بشكل عجائبي بدت فيه تلك العناصر الثلاثة أنها تعاقبت على أن تكون في نفس المكان، ولكن في وقت مختلف وفي ثلاث صيغ مختلفة.

تقشّف معبّر

جاء عمل المهندسة رومانوس الفنيّ متقشف العناصر، ولكنه معبّر بصريا عن غنى ووفرة الاحتمالات التي تنتظر كل إنسان، لاسيما ذلك الذي يخوض عباب الظلمات بحثا عن بقعة مضيئة أو منفذ ما يحقّق له الخلاص من متاهة الحلقات المتشقلبة.

احتل العمل مسافة خمسين مترا مربعا تحقّق في ثلاثة أمكنة مفصلية عبرت عن الجحيم والمطهر والفردوس، كما ذكرنا آنفا.

وذكر البيان الصحافي المتعلق بالعمل الفني وما جرى في فلكه من حفلات موسيقية أن له "رمزية عميقة وصلة وصل وثيقة بلبنان، حيث أن عقودا من الفساد والإهمال وعدم المحاسبة وضعت الوعي الفردي والاجتماعي تحت أقصى الاختبارات.. هذا الجحيم بالذات تم فرضه على الناس من دون أن يستحقوه. تحوّلت الكوميديا إلى مأساة، وفي حين تبدو الجنة بعيدة المنال، يهدف الفن إلى غرس بصيص أمل..".

كما ذكر البيان ما قالته المُهندسة رومانوس عن عملها، فهو "يوفّر التجهيز المرئي من بعيد، جوانب متنوّعة، سواء تم الاقتراب منه بالسيارة أو مشيا أو تم استكشافه من الداخل. وتبدو علاقة المشاهد بالعمل متشعّبة، كما أن ردود الفعل والتفاعلات تتنوّع بين البصرية والجسدية والعاطفية والفكرية. وبالتالي، ربما تتغيّر تفسيرات المراقبين وافتراضاتهم الأولية أثناء تجوّلهم حول هذا العمل الفني والتفاعل معه، على أمل أن يولّد هذا الأمر فيهم حافزا للانخراط والتأمّل".

نايلا رومانوس إيليا

الفن العام يساهم في بلورة التاريخ المشترك للأمة ويدعم ثقافتها

ونايلا رومانوس إيليا مهندسة معمارية وفنانة، طالت إنجازاتها العديدة في مجال مشاريع التصميم الداخلي والترميم والهندسة المعمارية في لبنان.

غادرت وطنها على مقربة نهاية الحرب الأهلية فانتقلت للعيش في باريس، ومنها إلى لندن فهونغ كونغ وصولا إلى دبي.

وفي خلال هذه الفترة قامت بسفرات عديدة وزارت أنحاء مختلفة من العالم فانطبعت في داخلها الآثار الثقافية والفنية الخاصة بكل مدينة، حيث كانت في وقت سابق قد طوّرت اهتماما عميقا بالفن.

وفي العام 2011 بدأت بالنحت فعشقت هذا الفن وكرّست نفسها له منذ ذلك الوقت. لها مجموعة فنية خاصة، تأمّلت فيها ذكرى الحرب الأهلية اللبنانية، وفي الوقت عينه قامت بالتوعية بالاستدامة وسط أزمة نفايات غير مسبوقة في البلد عاكسة مشكلة من المشاكل الدالة على دولة مقصّرة.

وتبدي الفنانة/ المهندسة اهتماما كبيرا بالحضارة الفينيقية، وتحديدا بالأبجدية الفينيقية، فعندما كانت في دبي، قامت بإنشاء مجموعة المنحوتات الأولى الخاصة بها، المنبثقة من قوّة اللغة نفسها والمستوحاة من أشكال هذه الأحرف ومعانيها ورمزياتها. ويمكن إيجاد منحوتاتها ضمن مجموعات خاصة وعامة في لبنان والخارج.

تأثرت بمهنة الهندسة المعمارية، فتقارب منحوتاتها على هذا الأساس مستبدلة الوظيفة الفنية بالحدس، حيث تختلف جذريا مقاييس أعمالها، فتتفاوت بين الفن العام الضخم والمجموعات الصغيرة المحدودة النسخ المبتكرة خصيصا للمتاجر في المتاحف أو حتى منحوتات يمكن ارتداؤها كمجوهرات.

البحريني جعفر العريبي يخلخل بصريا العادي والسائد والمتكلّس

المنامة – يتواصل حتى الخامس والعشرين من ديسمبر المقبل بفضاء "عمارة بن مطر– ذاكرة المكان" بمدينة المحرق معرض الفنان البحريني جعفر العريبي، الذي جاء تحت عنوان "الحوتة التي ابتلعت القمر"، وذلك ضمن الموسم الثقافي "أروم من الأيام" لمركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث.

ويستلهم الفنان البحريني فكرة معرضه الجديد من حكاية طفولة مطبوعة في ذاكرته، تأتي على شكل سلسلة من الرسوم المحفورة متعدّدة الخامات، وتروي مشاهد استعاد تخيّل تاريخها، تجمع بين الفولكلور البحريني وأحداث إقليمية موثّقة، مع بعض التأملات النقدية للفنان نفسه.

ويضمّ معرض العريبي لوحات تشكيلية مفاهيمية، يتكّئ فيها على فكرة إحداث خلخلة لتلك البنى الثقافية التي تحكم سيطرتها على المجتمع العربي، متجاوزا حدودها وصولا لما هو إنساني، في محاولة منه لتغيير النظرة السائدة للثابت والمتحوّل، منحازا لفكرة التغيير والنهايات المفتوحة، التي تتّصل في وجودها بفكرة الخروج على كل شيء والتحرّر من كل شيء يمكنه أن يكرّس فكرة جامدة أو تقليدا تفرضه المجتمعات على أفرادها، أسوة بمقولة ابن خلدون "اتباع التقاليد لا يعني أن الأموات أحياء، بل إن الأحياء أموات".

وفي ذلك يوظّف الفنان البحريني مفهومي الزمان والمكان واستثمار حقيقة التحوّل والتبدل المستمّر فيهما، فيقوم باستعارة العنصر الإنساني غالبا والحيواني أحيانا في عكس بعض المفاهيم العادية المؤثرة إلى حدّ بعيد في خلق المزاج العام للمجتمع. ليلجأ بعدها لخلخلة ما هو عادي وسائد ومتكلّس، وذلك بتناوله لحالة العادي بصورته الواضحة جدا والمباشرة والحادة في آن، ممّا يترك مساحة من الشكّ لقراءات مختلفة لا تؤدّي إلى إجابات بقدر ما تعطي الفرصة لقراءة الثوابت بأشكال جديدة معاكسة في طريقة استقرائية لردود فعل متوقّعة شائعة لمفاهيم مجتمعية أخذت اتجاهات واحدة أو متعاكسة أحيانا بشكل موروث.

وعن مصادر إلهامه الفنية يقول العريبي "الإنسان في داخله عالم كبير جدا، إلى درجة أنه يجهل الكثير من الأشياء التي تسكنه، وهو، أي الفنان، حين يبدأ بالعمل الفني وإظهاره بالصورة التي يُريدها، يوفّق عادة في إظهار ما بداخله، وليس الهدف الرئيسي هو إخراج ما بداخله بقدر سعيه إلى قراءة الأشياء الخارجية بمنظوره الخاص".

وهو في ذلك يقوم بالتحقّق من ردات فعل مباشرة تذهب إلى خصائص الإنسان بشكل خاص بصفته مخلوقا يقوم باختيار الخطأ الأسلم بنسبة معينة في كل الأحوال، ممّا يترك المجال مفتوحا لتفرّعات لا تكون متوقعة غالبا، حيث إنها تتفاعل مع المحيط بشكل فوري، ممّا يعطيه المجال للتفكير في معالجات بديلة لا تتّفق زمانيا أو مكانيا معه، وواقعا هو يقوم فقط بإعطاء الفرصة للتوقّف قليلا لعمل مراجعة سريعة جدا تبحث في الذاكرة البعيدة في شكلها الماضي، وقد تذهب أكثر من ذلك في انتقالة مستقبلية سريعة ومتوقّعة لبدايات أو نهايات متخيّلة وفق قوانين ثابتة محيطة غير متخلخلة مجتمعيا على المدى القريب.

جعفر العريبي

الابتذال في الشرح يفقد العمل غايته، وعلى المتلقي التفاعل

وعمّا يُقال عنه في الوسط الفني البحريني، واتسام أعماله بالتعقيد والغموض يقول العريبي "بعض الزملاء يرون في أعمالي تعقيدا، لكني أجدها أعمالا بسيطة، أحاول من خلالها الوصول إلى الحالة البكر في التعاطي مع الشكل، لهذا أتوخى التبسيط في أعمالي، فأنا أعالج العمل بلغة حديثة، لكن خطوطها الرئيسة بسيطة، ومن هذا المنطلق، أنا باحث عن البساطة أكثر من التعقيد، حتى على مستوى التقنية الفنية، وهي تقنية تراكمت على مدى اشتغال لأكثر من عقدين في الفن، بيد أني أحاول جعلها ثانوية في العمل الفني، لهذا ليس مهما بالنسبة لي أن يكون العمل الفني جميلا بالمفهوم الشائع، وإنما يهمّني البساطة، وأن يكون العمل صادقا، وذا لعبة مغايرة بشكل ما. وأعتقدُ بأن الصدمة في العمل الفني أساس الاشتغال الفني، ليست صدمة المتلقي فقط، بل صدمتي أنا نفسي من العمل".

والعريبي مؤمن بمقولة "الفن للفن"، ومخلص لها، فالمواضيع تتغيّر عنده، لكن المهم بالنسبة إليه طريقة تناولها ومعالجتها، فهو يبحثُ في العمل الفني بشكل معمّق وفي كيفية اشتغاله.

وعن ذلك يقول "بالطبع، يشكّل الموضوع أهمية، لكنهُ ليس بأهمية المخرج الفني النهائي، فهذا الأخير هو الأهم، وهو مسؤوليتي كفنان، واللوحة بوصفها الناتج، تأتي أولا قبل كل شيء.. لهذا إذا ما نظرنا للمواضيع المختلفة، فسنجدها متشابهة في مختلف أنحاء العالم، وهي مطروحة في كل مكان وزمان، لكني كفنان، يتوجّب عليّ أن أقدّم لغة مغايرة للسائد، وأن أقول الشيء بصورة أخرى. قد لا تكون لغتي مقبولة، أو شائعة، لكني سأبقى أقول الأشياء من خلالها، فهي تمثّل خلاصة تجربتي، وبذلك أكون كفنان مسؤولا عن الاشتغال الفني، لا عن طرح القضايا كيفما كان".

وهو في كل هذا متحيّز للفنان، ولا يرى موجبا في نزوله إلى المتلقي، بل ليس مطلوبا منهُ فعل ذلك أصلا، ويوضّح "إن ازدياد عدد غير المعجبين بالعمل الفني، يمنحني ارتياحا، فمن خلال قراءاتي في علم الجمال، تأكّد لي بأن أعمل وفق لغة مغايرة، غير مستساغة للآخرين، الذين يحتاجون وقتا لمعرفة هذه اللغة، لهذا لم تعجبني أبدا اللغة الفنية السائدة، ودائما ما أحاول طرح أعمالي وفق لغة مغايرة تماما، وعند الشروع في العمل، لا أفكّر في المتلقي، وأتجرّدُ منه".

لوحات العريبي تنحاز لفكرة التغيير والنهايات المفتوحة، التي تتّصل في وجودها بمبدأ التحرّر من كل شيء

ويسترسل "ذلك لا يعني التجرّد التام، فمن مصلحة الفنان الحفاظ على خيط بينه وبين المتلقي، بحيث يتسنى لهُ جذبُ المتلقي لنتاجاته، وليس على الفنان أن يشرح عملهُ بتفاصيله، بل إن الابتذال في الشرح، يفقدُ العمل غايته، لهذا مطلوب من المتلقي المحاولة والتفاعل".

وشارك الفنان جعفر العريبي في العديد من المعارض على الصعيد المحلي والدولي ، كما له حضور واسع في عدد من الإقامات الفنية في باريس ولندن ونيويورك، ونال العديد من الشهادات التقديرية والجوائز، كجائزة الدانة عن عمله "توازن بيئي"، في معرض البحرين السنوي للفنون التشكيلية في نسخته السادسة والأربعين.

حوت يتمرّد على محيطه الضيّق رغم اتساعه